يقول القسطلاني في شرح "البخاري" عن الإيمان: «إنه أول ما يذكر من المقاصد الدينية لأنه ملاك الأمر كله، ولأن الباقي منها مبني عليه مشروط به، ثم يقول عنه: وهو لغةً: التصديق، وهو كما قال التفتازاني: إذعان لحكم المخبر وقبوله؛ فليس حقيقة التصديق أن يقع في القلب نسبة التصديق إلى الخبر أو المخبر من غير إذعان وقبول لذلك بحيث يقع عليه اسم التسليم على ما صرّح به الإمام الغزالي. فهما يتحدان في التصديق وإن تغايرا ( ) بحسب المفهوم، ومفهوم الإسلام: أعمال الجوارح، وبالجملة لا يصح في الشرع أن يحكم على أحد بأنه مؤمن وليس بمسلم أو مسلم وليس بمؤمن، 1- أصل الدين وحد الإسلام سواء علينا أسميناه الإيمان أو الإسلام أو التوحيد أو الدين أو إفراد الله بالعبادة فمسماه واحد لا يختلف باختلاف الأسماء. وغيره لاحق به ولا يقبل ولا يصح إلا به. ب ـ إلتزام شريعة الرسول جملة وعلى الغيب( ). ولا يصح أن نقول: أن من صدّق الخبر فقد قبل الحكم. ولا يعتبر تصديقه تصديقًا صحيحًا لأنه لو كان كذلك لأدّاه ذلك إلى قبول الحكم والإذعان له جملة وعلى الغيب. وعلى كل حال فهما شقان متغايران متكاملان، مفهوم أحدهما غير مفهوم الآخر ولا يقبل أحدهما بدون الآخر. 1- الإسـلام دين الرسل جميعـًا: يقول ابن تيمية: «ولما كان الكبر مستلزمًا للشرك، كان الأنبياء جميعًا مبعوثين بدين الإسلام، فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره لا من الأولين ولا من الآخرين، هو دين الرسل جميعًا وهو أصل الدين وهو القدر الذي تتفق فيه الرسالات وإن تنوعت الشرائع وهو التوحيد، يقول ابن تيمية: « ولهذا لما كان المشركون يحرِّمون أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ويأمرون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان، أنزل الله في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما يذمهم على ذلك، إلى أن يقول: وقوله تعالى: [illegible]

[illegible] أمر مع القسط ( ) بالتوحيد، وهو( ) الدين الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به إلى جميع الأمم قال تعالى: [illegible] ( )، ولهذا ترجم البخاري في صحيحه باب "ما جاء في أن دين الأنبياء واحد" وذكر الحديث الصحيح في ذلك، وهو( ) الإسلام العام الذي اتفق عليه جميع النبيين: قال نوح عليه السلام: [illegible] ( )، وهذا التوحيد الذي هو أصل الدين هو أعظم العدل، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أينا لم يظلم نفسه؟ فقال: «ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: [illegible] ( )» ( ). فالتوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة: هو أصل الدين، وهو الإسلام الذي انعقدت عليه كلمة جميع الرسل إلى جميع الأمم وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم. ويقول ابن تيمية في الفتاوى بعد كلام: «وأما الكتب السماوية المتواترة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقاطعة بأن الله لا يقبل من أحد دينًا سوى الحنيفية وهي الإسلام العام: «عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر»، 3- الكلمة السواء التي التقت عليها كلمة الأنبياء، والشرائع المتنوعة التي اختلفت فيها مناهجهم: يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: [illegible] ( ): «هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد»، يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى: [illegible] ( )، قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: [illegible] يقول: سبيلًا وسنة، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله تعالى الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام» ( ). ويقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى: [illegible] ( ) يقول: «[illegible] لا تختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها: [illegible] ولا نقول عُزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلًا منهم [illegible] بشر مثلنا، قال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال: «أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذوا بقولهم»، [illegible] عن التوحيد [illegible]

Summarized by © lakhasly.com

[illegible] أي: لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنكم كفرتم بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل »( ). وحديث البخاري جمع بين الآيتين جمع الاختلاف والإتفاق: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد»، فالإخوة لعلات هم الإخوة يلتقون في الأب ويختلفون في الأمهات فالرسول الكريم شبه الالتقاء في التوحيد بالالتقاء في الأب، والاختلاف في الشرائع التي تتناول الفروع في الدين بالاختلاف في الأمهات، ثم ذكر أن الدين هو التوحيد ولذلك كان واحدًا باتفاقه في التوحيد ولم يختلف باختلاف الشرائع لأنها فروع على الأصل، وهو لهذا حد الإسلام الذي يكون به المسلم مسلمًا، وكان نصارى نجران يمارون النبي ﷺ فبيَّن لهم حد الإسلام وهو الكلمة السواء التي التقت عليها الكتب الثلاثة ولم تختلف فيها وهي: [illegible]، فمن لم يتحقق فيه هذا الحد ولم يستوفه لم يكن مسلمًا وإن ادعى ذلك كما ادعى نصارى نجران حينما قالوا للرسول الكريم ﷺ: «أسلمنا قبلك»، [illegible] أي: عن التوحيد [illegible] دونكم وأنكم كفرتم بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل، 4- التوحيد هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله: يقول ابن تيمية: «ودين الله الذي هو الإسلام مبني على أصلين: على أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيء، وعلى أن يعبد بما شرعه على لسان رسوله ﷺ وهذان هما حقيقة قولنا: «أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله»، فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادةً واستعانةً وتعظيمًا ومحبةً وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وإكرامًا، ولكل قول حقيقة كما قال المصطفى ﷺ وحقيقة التلفظ: التوحيد. 5- كثرة الاستدلالات على هـذا الأصـل: أ- يقول ابن تيمية: «وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة المرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: [illegible]( )، وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح ﷺ لقومه: [illegible]( )، ب- ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: [illegible]( ): «يقول تعالى منكرًا على من أراد دينًا سوى دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو عبادة الله وحده لا شريك له»( ). جـ- ويقول في تفسير قوله تعالى: [illegible]( ): «أي: نوحده بالألوهية ولا نشرك به شيئًا غيره [illegible] أي: مطيعون خاضعون كما قال تعالى: [illegible]. والإسلام هو ملة الأنبياء جميعًا وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم كما قال تعالى: [illegible]( )، والآيات في هذا كثيرة والأحاديث فمنها: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد»( ). وهذا دين جميع الرسل كما قال تعالى: [illegible]، هـ- ويقول في تفسير قوله تعالى: [illegible]( ): أي أن جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت إليه الناس من عبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد كقوله جلت عظمته: [illegible]( ). و- ويقول في تفسير قوله تعالى: [illegible]( ): أي لا يأمركم بعبادة أحد غير الله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب [illegible] أي: لا يعقل ذلك إلا ممن دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر. والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: [illegible]، إذا كانت العبادة هي الغاية

من الخلق وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب فإن مادتها غير مادة المعرفة وإن كانت تستلزمها، ولذلك يعبر عن إفراد الله بالعبادة: بالتوحيد العملي الإرادي القصدي الطلبي، وعن توحيده في الاعتقاد: بالتوحيد العلمي المعرفي المتصل بالخبر والاعتقاد.

ويوضح الشاطبي الفرق بين مادة العبادة ومادة العلم والمعرفة فيقول عن القرآن: «إنه محتوٍ من العلوم على ثلاثة أجناس هي المقصود الأول: الأول: معرفة المتوجه إليه وهو الله المعبود سبحانه. فالعبادة هي المطلوب الأول، غير أنه لا يمكن إلا بمعرفة المعبود إذ المجهول لا يُتوجه إليه ولا يُقصد لا بعبادة ولا بغيرها، فإذا عرف ـ ومن جملة المعرفة به أنه آمر وناهٍ وطالب للعباد بقيامهم بحقه ـ توجه الطلب، فالأول: يدخل تحته علم الذات والصفات والأفعال. والثاني: يشتمل على التعريف بأنواع التعبدات: من العبادات والعادات والمعاملات. والثالث: يدخل فيه الموت وما يليه ويوم القيامة وما يحويه والمنزل الذي يستقر فيه»( ). «كل علم شرعي فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى، إلى أن يقول: والثاني: أن الشرع إنما جاء بالتعبد وهو المقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى: [illegible] ( )، وما أشبه ذلك من الآيات التي لا تكاد تحصر كلها دال على أن المقصود التعبد لله وإنما أتوا بأدلة التوحيد( ) ليتوجهوا إلى المعبود بحق وحده سبحانه لا شريك له ولذلك قال تعالى: [illegible] ( )، ومثله سائر المواضع التي نص فيها على كلمة التوحيد لابد أن أعقبت بطلب التعبد لله وحده أو جعل مقدمة لها بل أدلة التوحيد هكذا جرى سياق القرآن فيها إلا تذكرة إلا كذا، ونحن نسوق هذا الاستدلال للتفريق بين دلالة ومادة لفظ العبادة، لأن المرجئة ومن لف لفهم من الذين يقصرون التوحيد على الجانب القولي الاعتقادي فقط ولا يرون كفرًا إلا بجحود تفريقًا بين الآيات التي تقول: [illegible] ( )، فيُعمِلون الأولى ويُعطِّلون الثانية بالتأويل بأن المقصود بالعبادة هو التوحيد في الاعتقاد، أبقوا العبادة على مادتها والأصل فيها من العمل والقصد والطلب وفسروها بفروع الأعمال دون الأصل وقالوا إن الشرك هنا بدخول الرياء في العمل وما إلى ذلك. ونخلص من هذا كله إلى أن: وأصل الدين، والباقي من الدين فروع له مبنية عليه مشروطة به، وهو الإسلام العام الذي جاءت به جميع الرسل. ● والتوحيد هو: إفراد الله بالعبادة وهو مستلزم لتوحيده في الاعتقاد. وكذلك يقول ابن القيم في كلمة جامعة مانعة يعرف بها حد الإسلام: «والإسلام هو: توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به؛ فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافرًا معاندًا فهو كافر جاهل»( )،

Summarized by © lakhasly.com